

## الجامعة العربية في عاصمتها الناصرة



يحتفل العرب اليوم بميلاد الجامعة العربية الثامن . وقد كانت الاعياد ولا تزال مناسبات اشبه بتلك المرأة الصغيرة التي توضع قبالة السائق في السيارة لينظر فيها من حين الى آخر فيرى من خلفه ويتحاشى ما قد يدهمه فيما اذا اراد ان يقف بسيارته او يدور بها يمينا او شمالاً .

واود اليوم ان نفتنم هذه الفرصة المناسبة لنلقي نظرة خاطفة في هذه المرأة الخلفية . وأول ما نراه ان هذه الجامعة لا تزال وليدة الأمس وان ايام نفوها لا تزال امامها على الرغم من ان سنيتها الثماني كانت سنين عجافاً لا قطر فيها ولا خصب .

فقد ولدت الجامعة تلبية لأماني وآمال دغدغت العرب نحواً من قرن كامل على الاقل ولم يستطيعوا تحقيقها بسبب من الكابوس العثماني اولاً والكابوس الانتدابي الذي « بلقن » بلادهم ثانية ، أي جعلها بلقانا ثانياً متعدد الأقطار مفرق الكلمة تسير الدول الاجنبية

ذات المصلحة سياستها . ولم يكن تصريح وزير الخارجية البريطاني الاول في ٢٩ ايار ١٩٤١ وتصريحه الثاني في ٣١ آذار ١٩٤٣ سوى اشارة الى ان الحواجز الخارجية لم تعد تقوى على صد هذه الآمال لا سيما وقد دفعت الاحوال العالمية آنذاك المصلحة البريطانية في مجرى موازٍ للمصلحة العربية .

واخيراً تجسدت هذه الآمال في ميثاق الجامعة العربية فولدت الجامعة في جلبة من الحماسة والتفاؤل . وعقد العرب على هذه الوليدة آمالهم وأملوا أن تكون هذه الجامعة نقطة انطلاقهم في النصف الثاني من القرن العشرين والخطوة الاولى في سبيل التعاون والاتحاد فالوحدة والمساهمة الفعالة في اسرة الدول الحية والسير إلى الأمام في موكب الحضارة .

هذا ما رجاه العرب وصبا اليه الخاصة والعامة . غير ان الميثاق في ايدي المسيطرين من دعاة البلقنة العربية اصبح وثاقاً يكبل مساعي العرب نحو التعاون ويخنق امانيتهم في سبيل الاتحاد ويزهق آمالهم في سبيل الوحدة مع ان الوحدة كانت ولا تزال هدفهم منذ بدء نهضتهم الحديثة .

وأمل العرب ان تصبح هذه الجامعة ، على علاتها ، أداة صالحة لجمع شتاتهم ولحل قضاياهم وتحسين احوالهم ودرء الخطر عن بلادهم فاستحالت في ايدي دعاة البلقنة مقهى لتبادل النكات ، ومطعماً للتعهم بالوان الطعام ، ضاعت فلسطين تحت مناسفه وتبخرت آمالهم بين أكوابه .

عقد العرب آمالهم على الجامعة العربية لأنهم رأوا فيها الى حد تجسيداً لفكرة طالما ساهروا بها. فتحوّلت في ايدي دعاة البلقنة الى ناروس خلطت فيه تلك الفكرة. أراد العرب فئدة الفكرة تجسيداً فلاقت في الجامعة تخنيطاً ، أراشدها تنبض حيوية فلاقت في براد الجامعة تجسيداً . وكان ان تدهورت العلاقات بين الأستقاء والشقيقات وقامت بينهم القطيعة في جميع مظاهرها . ومرت على البلاد العربية فترة من الزمن توقف فيها المصريون عن ارتياد مصائف لبنان ، وصدت أبواب المدارس العراقية في وجه المدرسين المصريين ، وارتفع سور القطيعة الصيني بين سورية ولبنان ، وقامت المعازل والشغور بين الحدود العربية .

وكانت النتيجة ان فشل العرب منذ قيام الجامعة في جميع جهودهم السياسية تجاهد العالم المحيط بهم ، وفي معظم جهودهم المحلية لرفع مستوى الشعب ، فارتبط اسم الجامعة بالسخرية والفشل ، فشمت بنا الأعداء - أعداء العرب وأعداء الفكرة العربية من العرب انفسهم . وعندني ان فشل الجامعة هذا في الحقلين الخارجي والداخلي هو من اكبر الاسباب في فشل الفكرة القومية وطغيان الفكر الاخرى ، إن اسلامية او شعوبية او اقليمية ضيقة .

والسبب الاول والآخر في فشل الجامعة يعود الى ثلاثة امور :  
اولها ميثاق الجامعة الذي يؤكّد على الاقليمية ويؤدي حتماً الى البلقنة . وثانيها سيطرة الجيل القديم على مقدراتها ، ولن تكون اية مؤسسة خيراً من المسيطرين عليها مهما تكن فكرتها حسنة الغايات

سليمة الاسس . فمقدرات الجامعة كانت حتى الامس في ايدي جيل لم يتجاوز تفكيره السياسي الفترة الواقعة بين العهد الحميدي والحرب العالمية الاولى ، فوقفت الجامعة لذلك عند الحدود السياسية ولم تتعداها الى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بجد . وثالثها ان الجامعة حاولت ان تجمع دولاً ودويلات لم تتجاوز بعد مقوماتها ، وفي الوقت نفسه استهدفت الامعان في بلقنتها وفي التأكيد على عوامل التفريق كالسيادة الوطنية وشدة الجامعة الى السياسة المصرية حيناً والى المحور المصري السعودي او المصري السوري حيناً آخر . وجعلها ميداناً للتنافس الاسروي ونقطة ارتكاز لمرجحة التوازن العربي . ولن تكون اية منظمة من هذا النوع افضل من اعضائها ولا اقوى من اضعف عضو فيها . ففتوتها كقوة السلسلة تقاس باضعف حلقاتها .

هذا ما نراه عندما ننظر في تلك المرأة الخلفية . غير ان السائق الذي يرقب ما خلفه فيحسب ولا ينظر الى الامام فمصيره التدهور لا محالة . فعلياً اذن ان نتطلع الى الامام والى ما يجب ان يكون مستقبل الجامعة .

ان فشل الجامعة في تحقيق ما عتده عليها العرب من آمال ، وفشل العرب في بعض نواحي جهادهم القومي لا يعني فشل فكرة الجامعة نفسها ولا فشل العروبة التي نؤمن بها . ان فكرة الجامعة العربية لم تفلس عندما افلس القائمون عليها ، كما ان العروبة لم تفلس عندما منى العرب بالفشل في بعض نواحي جهادهم القومي

لأنهم صدفوا عن روحها وابتعدوا عن جوهرها . ولم يفلس الا  
حربا آت العقائد الذين يلبسون لكل حالة لبوسها - يتعلقون  
باهذاب العروبة يوم عزها ويتخالون عنها في يوم بؤسها ويفمدون  
خناجر اللؤم في ظهرها في يوم عثرتها ويشتمون بها في يوم محنتها .

ان مستقبل العرب مرهون بنجاح فكرة الجامعة العربية ،  
ولن تنجح الجامعة الا اذا نظر اليها العرب كخطوة اولى في سبيل  
التعاون فالاتحاد والوحدة . وهذه لا تمثل عملية واحدة بل سلسلة  
من العمليات مستمرة . ومن دواعي الغبطة والسرور اننا نحتفل  
بهذا اليوم ودلائل التبدل في نظرة العرب الى الجامعة من براد  
لتجميد الاوضاع الراهنة الى ميدان للجهود العملية اخذت تبدو  
واضحة . وانا لنأمل ان يكون الغاء سمات جوازات السفر بين  
لبنان والعراق خطوة اولى تعقبها خطوات عملية لتحقيق المصلحة  
العربية . ولا يسعني ان امر على هذا الحدث التاريخي دون ان  
اهلل له واشكر الرئيس اللبناني الذي بادر الى توجيه السياسة  
العربية الى الايجابية واعاد الى لبنان طابعه الخاص وهو السير في  
طليعة البلدان العربية في حمل لواء النهضة الحديثة على جادة التعاون  
والاتحاد الى الوحدة منذ اوائل القرن التاسع عشر . وعندى ان  
الغاء هذه السمات يوازي في اهميته جميع ما قامت به الجامعة  
العربية طوال سنيها الثمان .

وكما ان هذه المناسبات تتيح لنا ان نلقي نظرة إلى الوراثة ثم  
نستأنف السير إلى الامام كذلك تهيب لنا فرصة لتجديد ولائنا

للفكرة التي تمثلها هذه المناسبة او تلك ، فيجدر بنا إذا ان نجد اليوم ايماننا بالجامعة العربية كخطوة اولى في طريق التعاون والاتحاد والوحدة وان نجد ايماننا بالعروبة وولاءنا لها كاسلوب من اساليب التطور والنمو وطريق من طرق الحياة تسير دوماً نحو الرشد والرشاد وعقيدة في العلاقات الانسانية متأصلة في قيمة الفرد وكرامته تستوحي فكرة الحرية المتطورة .

وامام العرب اليوم قضايا ملحة اذا لم تعالج بحكمة وحزم وصراحة جلبت عليهم الدمار والفناء . وأمامهم كذلك فرصة فريدة يتوقف على انتهازها المستقبل العربي . وأهم ما في هذه الفرصة انها تمكن العرب من ان يأخذوا بناصية المبادرة بعد ان أفلتت من ايديهم سنين طوالاً . ومن المنتظر ان تجتمع الجامعة العربية قريباً للبت في هذه القضايا الملحة . فهل تقدم على معالجتها بروح ايجابية بناءة تستوحيها من مصلحة العرب وعبر الماضي ومنطق الحوادث أم تكتفي بالحطب والمآذب وتبادل العواطف فيجر فيها التاريخ ؟

إن العرب ينتظرون من الجامعة ان تواجه العالم بخطط مدروسة بناءة ومطالب عادلة معقولة يستطيعون ان يقروها وان يقفوا صفاً واحداً في عرضها والدفاع عنها . وان العرب ينتظرون من الجامعة العربية الصراحة التامة ولو كانت مؤلمة . وما النكبات التي ألمت بهم في الماضي القريب إلا نتيجة للتمويه والمواربة . وقد ابتلي العرب بساسة هم أشبه بجانوس ذلك الرجل الاسطوري ذي

الوجهين . وهم لا يجرؤن على مجابهة الشعب بالحقائق بل يخدرونه بانصافها ويخفون عنه الواقع ويعلمونه بالمحال .

تقف اليوم على مفترق الطريق إن في الشؤون الداخلية أو في الشؤون الخارجية . وما الانتفاضات التي هزت العالم العربي منذ النكبة الفلسطينية إلا دليل على أن غريزة الشعب ، على الرغم مما ينوء تحته من جهل وفقر ومرض وحيوة وانقلاب ، اخذت تدله على ان مستقبله مرهون بالصراحة والايجابية والعمل ، وهو لا يرضى ولن يرضى بغيرها . فحذار فالعبر امامنا عديدة وحديثة ومخيفة .

ولدت الجامعة العربية تلبية لأماني العرب . وكانت ولايتها مخوفة بالرجاء والامل كما كانت مخوفة بالتراجع وال فشل . واليوم بعد انقضاء ثماني سنوات على هذه التجربة النبيلة اقول ان نجاح العرب في حل القضايا الملحة التي تعترض سبيلهم يتوقف إلى حد بعيد على نجاح هذه التجربة . يجب على الجامعة العربية ان تنجح كما يجب على كل عربي يريد سلامة بلاده ورفاه اخوانه وسعادة بنيه ان يعمل على نجاحها وذلك بالسمي المتواصل لاقامة الحكم الشعبي الصالح في البلاد ودفع الحكومات العربية الى العمل الجدي السليم في حل القضايا العربية . ان فكرة الجامعة العربية فكرة صحيحة حية تقوى على النمو . وستكون في ايدي المؤمنين بها أداة صالحة لاقامة بنيان عربي قبلته الوحدة لا التفريق ، والتقدم لا الجمود .

منذ سبع سنوات دعوت الى ولايات متحدة عربية . واليوم

إذ نحتفل بميلاد الجامعة العربية الثامن أقول ان هذه الجامعة ليست غاية ما يجب ان يبلغه العرب في تطور علاقاتهم بعضهم ببعض ، بل هي الخطوة الاولى في سبيل الولايات المتحدة العربية . وانا لا أزال أحيذ هذه الجامعة لا لما هي بل لما ترمز اليه . اول عمل إيجابي يقوم به العرب أنفسهم في سبيل وحدتهم . وكل من سار على الدرب وصل .